

٩٩

عبد الحليم

للإعلام
في مصر

أطياف الماضي



www.helmelarab.net

١ - تائه عبّر العصور ..

ألفت الأضواء الفرسفورية الخضراء ، للطريق الجديد الذى يربط ما بين (الجزيرة) و (القيوم) بظلال قاتمة ، اختلطت بعضها ببعض ، فصنعت فى مجموعها لوحة مربعة ، فى الواحدة من صباح أحد أيام الربيع المعتدلة المناخ ، واخترق الصمت الخثيم على الطريق صوت إحدى سيارات الشرطة الصاروخية ، فى وردية ليلية معتادة ، وهى تترق خلال الطريق نحو أهرامات (الجزيرة) الثلاثة ، الشامخة على مر العصور ..

وكان راكباها صامتين ، وكل منهما يمتنى لنفسه يوم عميق ، بعد أن انتهى موعد دورتهما ، حتى أنهما لم يتبادلا الحديث منذ عبرا حدود محافظة (القيوم) ..
وتعطى الرجل الذى يجلس بعيدا عن أزرار القيادة ، وتساءب ثم أغلق عينيه فى تكاسل ، وقد ترك لزميله مهمة القيادة ، لكنه سمعه فجأة يتمم فى مزيج من الدهشة والحنق :



سلوى



نور الدين



محمود



دمزى

— رباه ! أية دعاية هذه ؟

وأعقب قوله بأن ضغط على (فرامل) السيارة ،
فانطلقت من أسفلها دفعة قوية من الهواء المضغوط رفعتها إلى
أعلى بضعة سنتيمترات ، لتؤمن التوقف المفاجئ ، ثم دارت
حول نفسها دورة كاملة ، وهبطت متوقفة في سكون ،
ففتح الرجل الآخر عينه ، وصاح :

— ماذا حدث يا (صبحي) ؟

أجابه (صبحي) في غضب :

— يبدو أن أحدهم يحاول المزاح يا (شوقي) ، لقد
ضحت بين تلك الأطلال الفرعونية القديمة التي تبدو إلى
البار ، رجلاً يرتدى ...

ثم بر عيارته وهز رأسه ، وقال :

— لا فائدة ، إنك لن تصدقني ...

تغلب فضول (شوقي) على غضبه ، فسأل زميله في هفة :

— سأصدقك يا (صبحي) ، هات ما عندك .

تردد (صبحي) لحظة ، ثم قال :

— لقد رأيت رجلاً يرتدى ملابس المصريين القدماء ..
غطاء الرأس والأحزمة الجلدية .. حتى ذلك الحداء الجلدي
القديم الذي نراه في الرسوم الفرعونية .
ظل (شوقي) صامتاً لحظة ، يتفكر في ملامح زميله ، ثم
هز كتفيه ، وقال متردداً :

— حسناً .. سأكمل أنا القيادة حتى آخر الطريق ..
إنك تقود منذ غروب الشمس ولا ريب أنك ...
صاح (صبحي) في غضب :

— هل تظن أنني توهمت ذلك ؟ يا للسخافة !!
إنني أعمل في دوريات الشرطة منذ عشرة أعوام ، ولقد
قطعت هذا الطريق أكثر من ألف مرة ، في كل أوقات النهار
والليل .

ابتسم (شوقي) قائلاً :

— ربما أنك ...

قاطعه (صبحي) صائحاً في غضب :

— ليس هناك (ربما) ... لقد رأيت هذا الأراجوز ،
وسأحضره إلى هنا مكبلاً بالأغلال .

قال عبارته وغادر السيارة في إصرار ، ولما أدرك
(شوقي) أنه لن يستطيع منعه ، أسرع يلحق به وهو متبرم
من تلك المهمة الوهمية ، التي حرمته لذة النوم .

سار الاثنان بخطوات حذرة بطيئة نحو الأطلال الفرعونية
القديمة ، وأشعل (صبحي) مصباحه الذري ، فغمر
المكان ضوءه الساطع ، مسقطاً مزيداً من الظلال ، في
مربع زاد من جو الرهبة الذي يسود المكان ، وتقدم الاثنان
يفحصان المكان بعيون خيرة مدربة ..

وفجأة برز من بين الأطلال رجل ضخيم الجثة ، مفتول
العضلات ، أسمر البشرة ، خفيف شعر الرأس بدرجة
كبيرة ، عارى الجسد ، إلا من منطقة جلدية تغطي وسطه
وأعلى ساقيه ، وموشاة بنقوش فرعونية مميزة ، انقضت منذ
آلاف السنين ..

برز هذا الرجل بغته وهو يطلق صيحة مرعبة ، ارتجفت
لها أجساد الشرطين ، ثم قفز نحوهما في جسارة مذهلة ، وهو
يحمل في قبضته خنجراً بدائياً ضخماً ..



وفجأة برز من بين الأطلال رجل ضخم الجثة ،
مفتول العضلات ..

تفادى (صبحى) خنجر الرجل الضخم فى اللحظة الأخيرة ، ثم هوى بقبضته على مؤخرة عنقه فى ضربة ساحقة ، سقط الرجل على أثرها أرضاً ، وهو يطلق من بين شفتيه حشرة مؤلمة ، فقد بعدها الوعي تماماً ..

ظل الشرطيان فى ذهولهما فترة من الزمن ، ثم قال (شوق) بصوت يملؤه الدهول :

— هذا مستحيل ! إن ذلك الرجل يبدو وكأنه قد عبر الزمن .. اجتاز آلاف السنين ليهبط فوق رؤوسنا .

تلقت (صبحى) حوله ، بتأمل المكان الذى لم يتبدل مطلقاً منذ مئات السنين ، ثم قال بصوت مرتعف قلق :

— من يدري ؟ .. ربما عدنا نحن آلاف السنين ، وغصنا فى أغوار الماضى .

٢ — رحلة إلى الماضى ..

هبط المصعد البلورى الأسطوانى بالرائد (نور) ، إلى الطابق العاشر ، تحت مستوى الأرض من إدارة المخبرات العلمية المصرية ، وهو يشع بضوءه البلسجى الهادئ ، حتى توقف أمام البوابة المعدنية المستديرة ، التى تحمل شعار القائد الأعلى للمخبرات ، وأسرع (نور) ببسط يده أمام مربع زجاجى صغير بخوار البوابة ، فتحوّل المربع إلى لون أزرق برّاق ، وانطبعت فوقه صورة واضحة لكف (نور) باللون الأحمر ، وظلت كذلك برهة ، ثم تحولت إلى اللون الأخضر ، ثم الزيتونى ، وسرعان ما تلاشت وسط الضوء الأزرق ، وتحرك جانباً البوابة فى هدوء ، مفسحة الطريق أمام (نور) ، الذى تحرك فى خطوات عسكرية ثابتة ، وعيناه مركّزتان على وجه القائد الأعلى ، حتى أصبح على بعد متر واحد من مكتبه ، لرفع يده بالتحية العسكرية ، وقال فى صوت رزّين واضح :

— الرائد (نور الدين) في خدمتك يا سيدي

رفع القائد الأعلى يده في تحية سريعة ، ثم قال :

— يسعدني أنك تمكنت من التمدوم بهذه السرعة أيها

الرائد

وقبل أن يتفرقه (نور) بالعبارة التي دارت في خلده .

استطرد القائد الأعلى :

— منذ خمس ساعات بالضبط ، حدثت واقعة غاية في

العجيب .

ثم قص عليه حادث الشرطين (شوقي) و (صبحي) ..

ولم يكده ينتهي حتى قال (نور) :

— هل تم استجواب هذا الرجل يا سيدي ؟

أوما القائد الأعلى برأسه علامة الإنجاب . وقال :

— هذا هو مبعث الغموض في الأمر أيها الرائد ، فلم

يكده هذا الرجل العجيب يقيق من غيوبته ، حتى شرع

رجالنا في استجوابه ، لمعرفة سبب هذا الهجوم العجيب ،

وتلك الملابس التي ظنوا أنها مزيفة ولكن ...

صمت القائد الأعلى لحظة ثم تلك فيها الفصول من

(نور) تمامًا ، ثم استطرد :

— ولكن اللغة التي تحدث بها في ذعر واضح ، لم تكن

مفهومة على الإطلاق .. ولقد حاول الجميع تفسير ألفاظها

ومفارجها ، ولكنهم فشلوا تمامًا ، وهنا حاولوا الاستعانة

بكمبيوتر الترجمة ، ولكن حتى هذا الجهاز الحديث ، فشل

تمامًا في تحديد اللغة التي يتحدث بها الرجل ، برغم أن

برنامجهم يضم كل اللغات المستخدمة في جميع أنحاء العالم حتى

النادرة منها ، وكان الرجل الغامض طوال هذا الوقت يتطلع

إلى الجميع في حيرة ، وخوف ، وقلق ..

عاد القائد الأعلى إلى صمته ، فقال (نور) :

— هل تأكدتم من حالته العقلية يا سيدي ؟

ابتسم القائد الأعلى ، وقال :

— إن عقلك يعمل بصورة منظمة أيها الرائد .

ثم اعتدل في مجلسه ، وقال :

— نعم .. لقد فحصنا عقله بصورة دوتينية ، فأنت

تعلم أنه منذ كشف علاقة الهرمونات بالحالة العقلية ، لم
تسجل حالة جنون واحدة عجز الطب عن علاجها ، حتى
أن كل المصححات العقلية أغلقت أبوابها .. عموما لقد
فحصنا عقله ، ووجدنا أنه يتسع بقواه العقلية الكاملة .

تروّد (نور) لحظة ، ثم قال :

— أخشى أن أصرح بما يدور في خاطري يا سيدي .

مط القائد الأعلى شفّيه ، وقال :

— أعلم ما يدور في عقلك أيها الرائد .. إنك تخشى
القول إنه من المحتمل أن يكون هذا الرجل فعلا واحدا من
قدماء المصريين ، وحمل إلى عصرنا هذا بصورة غامضة ..

وضمت لحظة تهجد خلالها ، ثم قال :

— لقد فحصنا هذا الاحتمال أيها الرائد ، واعتقد أن
ما توصلنا إليه سيكون بمثابة القنبلة .. لقد لجأنا إلى واحد
من أعظم علماء اللغات الميزة وهو الدكتور (شريف
حافظ) ، ولقد أكد هذا العالم الموثوق به ، أن الرجل
يتحدث باللغة الهيروغليفية القديمة ، التي كان يتحدث بها

قدماء المصريين منذ آلاف السنين .. كما أكد عالم آخر من
علماء الأجناس ، وأقصد الدكتور (محمد فادي) ، أن
الرجل يمتلك نفس الملامح المميزة للجنس المصري القديم ..
الشفاه الغليظة ، والأنف الممتلئ ، والبشرة السمراء ،
والعيون السوداء الواسعة .. نفس الملامح التي تراها في
النقوش الفرعونية على جدران المعابد الأثرية ، كما أنه يرتدي
نفس الزي ، وحتى الخنجر الذي كان يحمله من نفس
النوع ، وطريقة الصنع التي كان يتبعها المصريون القدماء .

كان عقل (نور) خلال حديث القائد الأعلى ، يعمل
بصورة خرافية ، وسرعة خارقة ، محاولا إيجاد تفسير متبع
لكل ذلك ، حتى سمع قائده يقول :

— لا يوجد حتى الآن تفسير منطقي ، لوجود هذا
الرجل في القرن الحادي والعشرين ، بعد آلاف السنين من
الزمن المفروض تواجده به ..

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

— إن لدى رأيا غير مشجع ، بالنسبة للسفر عبر

الزمن يا سيدي .

هو القائد الأعلى رأسه بدورة ، وقال :

— هل تقصد أن هذا الرجل سافر بواسطة ما عُبر
الزمن ؟ لا أعتقد أن هذا الاحتمال مستبعد تمامًا أيها
الرائد ، فنحن حتى عصرنا هذا لم نحل الكثير من مخوض
لعبة الزمن ، كما أن الظروف لم تسع بعد لإثبات نظريات
(ألبرت آينشتاين) في هذا الشأن

مط (نور) شففيه ، وقال :

— ربما كان هناك تفسير آخر يا سيدي
صمت القائد الأعلى لحظة ، ثم قال في هدوء :
— هذه هي مهمة فريقك أيها الرائد

رفع (نور) يده بالتحية العسكرية في حزم ، وقبل أن
تعود يده إلى موضعها ، ارتفع أزيز جهاز التليفيدو المثبت
بمكتب القائد الأعلى ، فرفع هذا الأخير المسماع السرى ،
ووضعه على أذنه وهو يراقب الشاشة الصغيرة للجهاز ، ثم
لم يلبث أن أعاد المسماع ، ورفع رأسه مواجهًا (نور) ،
وقال بعد برهة من الصمت :

— يبدو أن مهمتك قد ازدوجت أيها الرائد ، فخلد عشر
رجالنا على طيف جديد من أطراف الماضي ، في قلعة
(صلاح الدين الأيوبي) .

* * *



٣ - الطيف الثاني ..

تطلع أفراد الفريق في تعجب ، من خلف النافذة
الزجاجية المزدوجة ، إلى الرجل الثاني الذي تم العثور عليه
في القلعة ، وهو يدير في غرفته المغلقة مزجرا ساخطا
كالأسد الحيس .

كان قوى البهائم بصورة واضحة في عظام فكّه البارزة ،
وعينيه المركزيتين .. وكان يرتدى خوذة معدنية ، تنتهي
بعمامة من قماش سميك ، وقلنسوة مزركشة ، وسروالا
واسعا ، وحذاء جلدنيا ، مرتفع العنق ، وحول وسطه حزام
جلدي عريض ، مزين بأزوار معدنية كبيرة ، ويتصل به
عمد جلدي منقوش ، يمسك به الرجل في عصبية ، وكأنه
مخاض من تجرده من سيفه ، الذي جرده منه رجال
الخبايا العلمية .

قال (رمزي) في دهشة ، وهو يتطلع إلى الرجل :



— عجباً !! .. كأننا نشاهد لقطة من فيلم تاريخي
قديم .

عقب (محمود) على قوله :

— ولكنها لقطة متقنة للغاية يا (رمزي) .

هزت (سلوى) كتفها ، وقالت :

— هذه الملابس التي يرتديها تذكرني بـ ..

قاطعها فجأة صوت هادي يقول :

— نفس الزي الذي ارتداه جنود (صلاح الدين

الأيوبي) ، إبان الحملة الصليبية يا سيدتي .

استدار الجميع ليطالعهم وجهه رجل ممثلي الجسم

بعض الشيء ، عريض الجبهة ، واسع العينين ، صغير

الأنف والقم ، حليق الوجه ، كثيف الشعر أسوده ..

هادي الملاح ، يتم لي وذ .. قال الرجل مبذلاً

دهشتهم :

— اسمي (محمد فادي) .. الدكتور (محمد فادي)

رئيس قسم علم الأجناس والتاريخ القديم بجامعة القاهرة .

صافحه أفراد الفريق في وذ ، وسأله (نور) وهو يشير
إلى الرجل المجهول غير الزجاج :

— ما رأيك في هذا الأمر يا دكتور ؟

وقف الدكتور (فادي) أمام النافذة يراقب الرجل ،

وقد عقد كفيه خلف ظهره ، ثم قال :

— نفس ما حدث بالنسبة للرجل الأول .. ملاحظ الوجه

والزي ، يتفقان بصورة مذهلة مع جنود (صلاح الدين

الأيوبي) ، في فترة الحملة الصليبية .. دقة مذهلة لم تتوافر

حتى في أدق الأفلام التاريخية .

سأله (رمزي) :

— هل تعتقد أنه بالإمكان افعال هذه الدقة ؟

مطأ الدكتور (فادي) شفتيه ، وقال :

— من الناحية النظرية .. نعم .. يكفي أن تستعين

بخبير في علم الأجناس والتاريخ القديم مثلي .. أما من الناحية

العملية فالإجابة هي لا .

قال (نور) في ضحك :

— وماذا يجعل هذا الأمر مستحيلًا عمليًا ؟

صمت الدكتور (فادي) لحظة ، ثم هز كتفيه وقال :

— كثير أنها الرائد .. فلو أنك تحاول حبك مثل هذا

الأمر ، فسيكون عليك العثور على رجل يتميز بنفس البنية

القوية لرجال العصر القديم ، وله نفس الملاح الميرة لأهل

ذلك العصر .. ثم عليك أن تجعله يجيد التحدث باللهجة

المعروفة وقتذاك ، دونما خطأ ، وأن يعتاد عدم استخدام

أو تجاهل كل الاختراعات التي ظهرت بعد العصر المقترض

إتيانه منه ، وبعد ذلك تأتي النقطة الصعبة ، وهي ضمان

ولاء مثل هذا الشخص واستعداده للمخاطرة ، وهذا شبه

مستحيل بالنسبة لرجل واحد ، فما بالك بشخصين ؟

ظل (نور) يتفكر في ملاح الدكتور (فادي) لحظة ،

ثم أطرق برأسه مفكرًا ، فقال (رمزي) :

— وماذا لو أننا بدأنا من النهاية يا دكتور (فادي) ؟

التفت إليه الجميع في اهتمام ، فاستطرد قائلاً :

— أعني لو أننا وجدنا أولاً الرجل المناسب المستعد

للمخاطرة ، ثم قمنا بإجراء جراحة تجميل ، لنحول ملاحه

إلى شكل يشبه العصر المطلوب ، وأنت تعلم أن هذا من

الأمر السهلة في القرن الحادي والعشرين .

ابتسم الدكتور (فادي) ، وقال مكتملاً الحديث :

— ثم نقوم بتعليمه وتدريبه على كيفية القيام بمهمته ..

اليس كذلك ؟

ثم هز رأسه غير مقتنع ، فقال (نور) :

— هناك وسيلة للتأكد من ذلك يا دكتور

انجهت العيون إلى (نور) ، الذي أردف في هدوء :

— أن أتحدث شخصيًا إلى هذا الرجل ، وجها لوجه .

* * *

شعر (نور) بالتوتر يسرى في عضلات وجهه ، وهو

يدخل إلى الغرفة الصغيرة العارية من الأثاث ، ويغلق

وتاجها الإليكتروني خلفه في إحكام ، ثم يقف متطلعًا إلى

الرجل الذي يقف في الطرف الآخر من الحجرة ..

تبادل الاثنان نظرات باردة قاسية ، ثم مدّ (نور) يده

في هدوء ، وانتزع مسدسه الليزري ..

أسرعت يد الفارس نحو غمده ، ثم زعجر في غضب عندما
تذكر أنه أعزل من السلاح ، وفرد قامته في كبرياء ، وهو
يحدق في (نور) بنظرات صارمة متحدية .

ابسم (نور) قائلا :

— إذن فأنت تدرك قوة سلاحى الحديث هذا أيتها
الفارس .

ظلت ملامح الفارس جامدة . وهو يعتقد ساعديه أمام
صدره القوى ، ويراقب حركات (نور) في حذر واضح ،
فخطا هذا الأخير خطوة إلى الأمام ، وقال :

— أليس من الأفضل أن نتصارح ، بدلا من هذه
التحلية الخولية يا صديقى ؟

كان الدكتور (فادى) وأفراد الفريق ، يتابعون الموقف
من خلف اللوح الزجاجى ، وقالت (سلوى) في قلق ،
وهي تشاهد زوجها يتقدم نحو الفارس العربى :

— إن (نور) يقوم بلعبة خطيرة يا رفاق .

زوى (رمزى) ما بين حاجبيه ، وهو يراقب الموقف في
صمت ، وهز (محسود) رأسه في قلق ، أما الدكتور

(فادى) فقد مطأ شفتيه ، وقال :

— إنها أخطر مما تظنون .. فقوة هذا الرجل تفوق
بثلاث مرات قوة زميلكم ، كما أنه جندى مدرب على فنون
القتال .

ولجأة صرخت (سلوى) ، وهى تشير إلى داخل
الغرفة :

— يا الهى ! إنه سيقتل (نور) .

كان الفارس العربى في هذه اللحظة قد حل ساعديه ،
وقفز نحو (نور) في شجاعة وهو يصرخ صائحا :

— الموت للأعداء .. الموت للغزاة .



٤ - بين الماضي والحاضر ..

قبل أن يدرك (نور) ، ذلك التحول العدو إلى المفاجئ
الذي أصاب الفارس العربي . كان هذا الأخير قد قبض
بإسراة على معصم (نور) الأيمن ، في قوة فولاذية أجبرت
(نور) على إفلات مسدسه الليزري من يده ، ثم قبض بيده
على سرة (نور) . ورفعه إلى أعلى ، وكأنه يحمل طفلاً
صغيراً ، وضرب به الحائط في قوة دار لها رأس (نور) ،
وصرخت لها (سلوى) في لوعة .

عاد الفارس القوي يحمل (نور) ، وهو يطلق صرخات
قتالية مروعة ، ويقذف به إلى الركن البعيد ليرتطم جسده
بالحائط مرة ثانية ، وتتضاعف آلامه .

رأى (نور) من خلال عينيه الزالغتين الفارس العربي
القوي ، وهو يعاود هجومه بنفس الشراسة ، فاستجمع
إرادته وقوته ، وهب واقفاً على قدميه لمواجهة .



ولو أن القتال بالأيدى العادية ، يعتمد بالدرجة الأولى على القوة البدنية ، لكانت الهزيمة من نصيب (نور) حتماً ، ولكن من حسن الحظ أن هذا النوع من القتال ، يعتمد على مهارة وخفة كل من المتصارعين ، ولذا فقد استغل (نور) كل خبراته القتالية ، المكتسبة من التدريبات القاسية في الخاضعات العلية ، وأفاد بوزنه وخفته ، وقفز مبتعداً عن الفارس ، في نفس اللحظة التي التي فيها هذا الأخير بجسده فوقه ، فاحتل توازنه ، وسقط بجسده الضخم على وجهه .

التصيب الفارس بسرعة ورشاقة برغم ضخامة جسده ، وهم بمواصلة القتال ، ولكن (نور) هوى بقبضته على أنفه ، ثم قفز إلى اليسار ، ولكمه بقوة تحت أذنه تماماً .. تروّج الفارس ودارت عيناه في محجريهما من شدة الألم ، ولكنه تمالك نفسه في صلابة مذهلة ، وعاود هجومه في بسالة نادرة أدهشت (نور) ، الذي قفز متفادياً خصمه الضخم ، ثم ارتفع بجسده إلى أعلى ، ودفع قدمه في وجه



ورفعه إلى أعلى ، وكأنه يحمل طفلاً صغيراً ،

وحسب به الخاطئ في قوة دار لها رأس (نور) .

الفارس العربي في ضربة رشيقة قوية ، نسج عن مهارة عالية ،
واجادة لقنود الدفاع عن النفس . وسقط الفارس أرضاً .
ولكنه لم يفقد الوعي .

كان أفراد الفريق يتابعون ما يحدث في جزع وثرب .
وقد انخرطت (سلوى) في الكاء . وتصور الجميع أن
الفارس القوي سيعاود هجومه على (نور) ، إلا أنه
استكان في ركن الحجرة ، ودفن وجهه بين كتفيه ، وصاح
في لوعة :

— يا لصيعة السلطان ! يا للخسارة !

توقف (نور) مبهوراً يحدق في الفارس ، الذي أخذ
يردد عبارته دوغماً توقف ، حتى أنه لم يحاول مواصلة القتال ،
أو اعتراض (نور) عندما غادر الغرفة في هدوء . . .

مرت ساعة كاملة على هذه الأحداث ، عندما اجتمع
أفراد الفريق في حجرة واسعة من حجرات المبنى الإداري
للمخابرات العلمية ، وقد انضم إليهم الدكتور (فادي)

وعالم آخر طويل القامة ، نحيل الوجه ، مجعد الشعر
أصفره . له ملامح منمنمة ، ويرتدي منظاراً طبياً أنيقاً . لم
يكن سوى الدكتور (شريف حافظ) عالم اللغات القديمة .

كان هو الذي يمسك بحيط الحديث قائلاً :

— لن نكون مبالغاً إذا ما قلت إن هذا أعجب
ما واجهني في حياتي العملية والعلمية بأكملها .
اتسم الدكتور (فادي) ، وقال :

— لست وحدك صاحب هذا الشعور يا زميلي العزيز .

عاد الدكتور (شريف) يلتقط الحيط قائلاً :

— إن كلاً من الفرعوني القديم والفارس العربي ،
يتحدث باللغة التي كانت تسود عصره تماماً .
سأله (محمود) :

— هل يتحدث الفرعوني باللغة الهيروغليفية القديمة

دوغمأ أخطاء ؟

أوما الدكتور (شريف) برأسه موافقاً ، وأردف :

— بل الأكثر من ذلك أنه يتحدث باللهجة التي تناسب

عصره تمامًا .. ستفهمون ما أعنيه عندما تعلمون أن اللغة الدارجة تتأثر دومًا بعصور الاحتلال ، وتتغير تبعًا لاندماج اللهجات والعبارات ، وهذا الفرعوني يتحدث باللهجة التي سادت في مصر في أثناء محاربة (رمسيس الثاني) للعوشيين .. ويكفي أن أقول إن اللهجة المصرية تبدلت تمامًا بعد حكم (كليوباترا) ، وبعد احتلال الرومان ، وهكذا ...

قطب (رمزي) حاجيه في دهشة ، وهزّت (سلوى) رأسها في خيرة ، وقال (نور) :

— هل تحدثت إليه يا دكتور (شريف) ؟

مطّ الدكتور (شريف) شففيه في أسف ، وقال :

— بضع عبارات فقط للأسف .. من الواضح أنه يشعر بالخوف والخيرة ، وهو لا يثق بنا مطلقًا .. بل لقد اعتبرني عدوًا .

أطرق (رمزي) لحظة ، ثم قال :

— ربما دفعناه إلى الحديث لو أننا ...

وبتر عبارته ، وظهرت على وجهه دلائل الضحك ، وكأنما يعيد دراسة فكرته مرة أخرى ، ثم استطرده قائلاً :

— لو أننا افترضنا أولاً كونه فرعونيًا قديمًا أصيلاً ، انتقل بواسطة مجهولة غامضة إلى عصرنا المتقدم .. فمن الطبيعي أن يسيطر عليه شعور قوى بالخيرة والدهشة والوحدة ، وسرفض التحدث بالطبع ، وربما ظن أن كل عابراه من حوله نوع من السحر المتقدم ، الذي آمن به قدماء المصريين .. والوسيلة الوحيدة لحل عقدة لسانه هي أن يتحدث إلى زميل له ..

نظر إليه الجميع في دهشة وخيرة ، ولكنه لم يلحظ ذلك ، إذ التفت إلى الدكتور (شريف حافظ) وسأله في اهتمام :

— هل تعتقد أنه في إمكانك التحدث بنفس اللهجة واللغة يا دكتور ؟

هزّ الدكتور (شريف) كتفيه ، وقال :

— لن أبلغ مدى دقته بالطبع ، ولكنني أستطيع ذلك بشكل جيد .

هملت أساور رمزي ، وصاح :

— لقد وجدت الحل إذن . . . سرتدي الدكتور
(شريف) ملابس تشبه زي هذا الفرعوني تمامًا ، ويضع
المكياج اللازم ، ثم يظهر بأنه أسير جديد . . . وهكذا
سيحاطف معه الفرعوني ويتحدث و . . .

قطع الدكتور (شريف) حديث (رمزي) ، وهو
يقول بصوت شاحب كوجهه :

— لقد نسيت نقطة هامة ، وأنت تضع خطتك أيها
الشاب :

استدار إليه أفراد الفريق ، فتابع بصوت خجل :
— إنني مجرد رجل علم ، وليست لدى الجرأة الكافية
لذلك .

ظهر الضيق على وجوه الجميع ، وكأنها حطمت عبارة
الدكتور (شريف) أملهم ، وقال (نور) :

— آه لو أنني أجيد التحدث بتلك المبرور غليقية القديمة .
رفعت (سلوى) رأسها إليه بغتة ، وتأملت في تركيز ، ثم
ابتسمت وقالت في هدوء :

— نرى ، هل أدهشك يا زوجي العزيز ، لو قلت
إنني قادرة على دفعك إلى ذلك ؟

* * *

لم تستطع (سلوى) منع نفسها من الابتسام ، وهي
تشاهد (نور) وقد حوله خيرا ، المكياج إلى وجهه فرعوني
أصيل ، وزي قديم مألوف ، وضحكت وهي تقدم إليه
قرصًا صغيرًا من المعدن وتقول :

— ضع هذا الجهاز الأليق تحت لسانك يا زوجي
الفرعوني ، واحرص على ألا ينزلق من فمك في أثناء
تحريكه .

ثم أشارت إلى جهاز صغير مثبت فوق منصة قريبة ،
وقالت :

— سيجلس الدكتور (شريف) أمام هذا الجهاز ،
وسيتابع في دفقة كل كلمة ينطق بها الفرعوني ، وسيكون
عليك مجرد تحريك شفثيك بشكل مبهم ، أما الصوت الذي
سيخرج من بين شفثيك ، فيكون صوت الدكتور

(شريف) ، من خلال الميكروفون الدقيق الذى تضعه
تحت لسانك .. أما ترجمة الحوار الذى سيدور بينك وبين
الفرعونى ، فتصلك من خلال كمبيوتر الترجمة الخاص
بقسم اللغات القديمة ، عن طريق المسامع الميكروسكوبى ،
الذى تضعه داخل أذنك ، حتى يمكنك رسم التعبيرات
المناسبة على وجهك ، تبعاً لما ينطور إليه الحديث .

قال (محمود) ، الذى كان يتابع الحديث :

— أعتقد أيها القائد أن هذا أصعب دور يمكن إساده
إلى مثل محترف .

ابتسم (نور) ، وقال وهو يحكم رباط الأحزمة
الجلدية لصندله القديم :

— سأحاول التفوق على الممثلين المحترفين يا عزيزى
(محمود) .

ثم رفع ذراعيه فى حركة مسرحية هزلية ، وهو يقول :

— والآن أيها السادة .. ألن تضعوا أسيركم الجديد فى
السجن ؟

* * *

تطلع الفرعونى القديم فى شك وحيرة إلى (نور) ،
الذى استلقى فى الركن الآخر من الغرفة ، متظاهراً
بالإغماء .. وفى حذر نهض الفرعونى القديم ، وأخذ يحوم
حول (نور) ، ثم انحنى فوقه يتفحص ملامحه ..

وهنا فتح (نور) عينيه ، وخرج من بين شخبطه صوت
الدكتور (شريف) قائلاً بالهيوغليفيه :

— بحق (آمون) .. أين أنا ؟

وكأنما أعاد ذكر الآلهة الفرعونية إلى الفرعونى هدوءه ،
فجلس القرفصاء أمام (نور) ، وقال فى هدوء ودعة :

— ماذا أصابك أيها الزميل ؟

تظاهر (نور) أنه ينهض فى صعوبة ، على حين قال
الدكتور (شريف) عن لسانه :

— لست أدري يا زميل .. لقد كنت أحارب بحوار
ملكنا (رمسيس) ، وفجأة فقدت الوعي ..
ظهر الشك على وجه الفرعونى ، فقال :

— لقد أعد ملكنا المحبوب أربع فرق لمحاربة الحيشيين ..

(آمون) و (روح) و (بتاح) و (ست) . . في أي منهم
كنت تخارب ؟

روح (نور) بدراعد في لامبالاة . على حين قال
الدكتور (شريف) في ثقة :

— (آمون) بالطبع يا زميلي . قلت لك إنني كنت
أحارب إلى جوار الملك .

اطمأن الفرعوني بعد هذه الإجابة ، وقال :

— أما أنا فلم أخسر معركة قط يا زميلي . . لقد كنت
أقوم بنوبة حراسة ليلية . ثم فجأة وجدت نفسي أواجه سحر
الحشيشين ، وكانوا يرتدون ثيابا عجيبة . لم أر مثلها من قبل ،
ويحملون في أيديهم نارا سحرية . تشع ضوءا ، ولكن
بلا حرارة أو دخان . . إنهم سحرة أقوياء .

وفجأة توقف الفرعوني عن إتمام عبارته ، وتفرس في
وجه (نور) بشكل أدهش هذا الأخير ، ثم مدّ يده نحو
وجه (نور) ، وهو يغمغم في دهشة عارمة :

— ما هذا بحق (آمون) ؟



وفجأة توقف الفرعوني عن إتمام عبارته ، وتفرس

في وجه (نور) بشكل أدهش هذا الأخير .

وقبل أن يدرك (نور) ما ينتويه الفرعوني القديم ، كان هذا قد أمسك بالقناع الأسمر الرقيق الذي يغطي وجه (نور) ، وجذبه في دهشة واضحة ، وتحولت دهشته إلى ذهول عارم ، حينما تمزق القناع الرقيق ، وظهرت من تحته بشرة (نور) البيضاء .

حدق الفرعوني ، في الجزء الذي تمزق من القناع في ذهول ، وتراجع إلى الخلف في ذعر ارتجف له كيانه ، وهو يصرخ :

— رباه !! إن لك وجهين .. يا للسحر المين !!
فليحفظ (آمون) أرواحنا .. فليحفظنا من الضياع .

* * *



٥ - الماضي المفرع ..

جلس أفراد الفريق في الغرفة الواسعة التي أعدت لاجتماعاتهم ، ومعهم العالمان ، وكان الجميع يتطلعون في غيبة أمل إلى (نور) ، الذي أخذ يزيل بقايا المكياج من وجهه ، وقد ساد الصمت التام إلى أن قال الدكتور (شريف) :

— لا يمكن اعتبار هذه المحاولة فاشلة تمامًا ، لمجرد أنه كشف تكسرك .

حرك (نور) رأسه بشكل يدل على الضيق ، وقال :
— ومتى يمكننا اعتبارها فاشلة إذن ؟ .. إننا لم ننجح في الحصول على أية معلومات جديدة ، وخسرنا فرصة مثالية ، وزرعنا في قلبه مزيدًا من الشك والريبة .. ما الفشل إن لم يكن كذلك ؟

استد (رمزي) إلى مقعده ، وقال :
— هناك نقطة ناجحة في الأمر أيها القائد ، إذا ما اعتبرتها كذلك .

استدار إليه (نور) . وعقد ساعديه أمام صدره ،
وأصغى في اهتمام ، فتابع (رمزي) :

— لقد تابعت مع الآخرين كل ما حدث في أثناء
لقائك بالفرعوني الغامض ، ولكنني أختلف عنهم في نقطة
واحدة ، وهي أنني خير في الطب النفسي ، وعلم دراسة
الانفعالات البشرية ، وعن طريق خبرتي هذه ، أستطيع أن
أجزم بأن كل الفعال صدر منه كان طبيعيًا للغاية ، بلا أدنى
شك

ضم (نور) شففيه في قوة . وقال :

— إن جزمك هذا يزيد من خبرتي وغموض الأمر
يا (رمزي) .

ثم لوح بيده في ضجر ، وهو يستطرد :

— كيف تجد تفسيرًا للأمر إذن ؟ .. رجالان أتى كل
منهما من عصر يبعد عنا بالآلاف السنين ، يشعران بالخوف
والحيرة مثلنا تمامًا ، ولكن أحدهم — وأقصد الفارسي
العرني — يدرك فور رؤيته للسدسي الليزري الحديث ،

— الذي لم يتم ابتكاره إلا منذ سنوات قليلة — أنه سلاح
بشكل خطورة على حياته ، ويكشف الآخر لتكبري
المقن .. هل لديك حل منطقي يمكنه تفسير كل ذلك ؟

هز (رمزي) رأسه نفيا ، وقال :

— ربما ما زلنا نفتقد بعض النقاط

أشاح (نور) يده في عصبية ، ولأد بالصب ، وهنا
قال (محمود) :

— ماذا لو كانت نظرية (رمزي) الأولى ، عن انقضاء

الرجال وإجراء جراحات تحويلية لهم سليمة مع تعديل
بسيط ؟

أعاده الجميع انتباههم ، فاستطرد في حماس :

— أقصد لو أن الرجال أنفسهم مقتنعون تمامًا . أنهم

قد قدموا من عصور ماضية بالفعل .

قفز (نور) من مكانه صائحًا :

— رائع يا (محمود) .. لقد فهمت ما ترمي إليه ..

إنك تقصد أنهم قد تعرضوا لنوع من التويم المغناطيسي ،

بحيث عادت عقولهم إلى هذه العصور القديمة

أشار الدكتور (فادى) بيده قائلا :

— لحظة أيها الفتيان .. هل تقصدون أن الرجلين قد تلقيا تدريبًا مكثفًا ، على التحدث والتحريك بأسلوب أهل العصرين المفترض قدمهما منهما ، ثم استلبنا للتويم المغناطيسى ، بحيث اقتنعا فعلاً أنهما كذلك ؟

صاحت (سلوى) فى جدل :

— هذا بالضبط ما يقصده (نور) يا سيدى .

رفع (محمود) سبّاته فى فخر ، وقال :

— وهنا يأتي دورى أنا كخير الأشعة .. لو أن الرجلين أُجريت لهما جراحات تجميلية ، فيمكننى كشف ذلك

على الفور .

سأله (نور) فى هفة :

— أحقًا !! .. وكيف يمكنك ذلك ؟

ابتسم (محمود) ، وقال :

— بإسقاط الأشعة فوق البنفسجية على وجهيهما أيها

القائد .. فلو أن جلد الوجهين تعرض سابقًا إلى عمليات

جراحية مهما بلغت دقتها ، ستضىء حواف المنطقة المعدلة من الجلد بلون بنفسجى داكن ، بعكس باقى أجزاء الوجه .
قال (نور) :

— حسًا يا (محمود) سنقوم بتخديرهما فى الحال ، ثم تبدأ اختيارك .

تهدأت (سلوى) وهى تتطلع فى وجه زوجها
بسعادة ، ولكنها عادت تقطب حاجبيها فى قلق ، عندما لم تلمح فى عينيهِ ذلك البريق المألوف ، الذى يملؤها حين يتوصل (نور) إلى الحل الصحيح .

* * *

تمتد الرجلان المجهولان فوق منضدة واسعة فى حجرة الأشعة ، بعد أن غابا عن وعيهما . بفعل الغاز الذى أطلق فى غرفتهما ، وثبت (محمود) جهاز الأشعة فوق البنفسجية فوق رأسيهما بأصابع خبيرة مدربة ، ثم أشار إلى مصباح الغرفة وقال :

— والآن إظلام كامل .

ضغط (نور) على زر مصباح الإنارة ، فغرقت الغرفة
في ظلام دامس ، وعادت تنضيء بلون بنفسجي حافت ،
عندما بدأ جهاز (محمود) في العمل .

سقطت الأشعة الكاشفة على وجهي الرجلين ،
وسقطت معها قلوب أعضاء الفريق ، وامتلات وجوههم
بعلامات خيبة الأمل . وتمتم (محمود) في غيظ :

— إن الأشعة تنورع على وجوههم بشكل متناسق ..
لأنفس إن النظرية خاطئة .. لم تحر للرجلين أية جراحات
على الإطلاق .

خيم الصمت التام على حوّ الحجرة ، وساد شعور
بالياس ، إلا أن عيني (نور) التقطتا شيئاً ما ، فأشار
بمبابة إلى نقطة صغيرة في حجم رأس الدبوس ، على
الجانب الأيمن من وجه الفرعوني . وقال في اهتمام بالغ :

— لم تنأق هذه النقطة بالذات يا (محمود) ؟
فحص (محمود) النقطة الصغيرة ، وقال في دهشة :

— عجباً .. إن هذا التألّق لا يحدث تحت تأثير
الأشعة فوق البنفسجية ، إلا إذا سقطت فوق جسم مشع .

أخفى الضوء البنفسجي الخادئ النفعال (نور) ، وهو
يقول :

— هكذا ١٢

ثم أسرع بفحص وجهي الرجلين في عناية بالغة ، ولم
يلت أن لم صوته عن النصر . وهو يقول :

— هناك نقطة أخرى مشعة على جانب الرأس الآخر ،
وعلى جانبي وجه الفارس العربي أيضاً .. يبدو أننا وضعنا
أيدينا على طرف الحيط يا رفاق

* * *



٦ — الخيط المعقد ..

تهنّد الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء
الشرعيين في جمهورية مصر العربية ، ونحى جانباً مجلداً
ضخماً ، كان يهيك في مطالعته ، ثم دَعَكَ عينيه
المتعبين ، ونظّلَعَ إلى (نور) ، فقَرَأَ ، ثم قال :

— يوسفى ألا أجد ما يفيدك يا (نور) ، لقد قلبت
كل المراجع القديمة والحديثة ، بحثاً عن الوسيلة التى تفتق
لها ذهنك ، للسيطرة على العقل عن طريق المواد المشعّة ،
ولكننى لم أجد لها أثراً .. يبدو أنها لا توجد إلا في مخيلتك
فقط .

قلب (نور) كفيه في حيرة ، وقال :

— ولكن يا سيدى ، لابد من وجود تفسير للنقطتين
المشعّتين على جالسى وجد كل من الرجلين .. إنها النقطة
الوحيدة التى من الممكن أن تقودنا إلى الحل .

مط الدكتور (حجازى) شغيبه ، وهز رأسه بأسف .
وقال :

— كنت أتمنى معاونتك يا (نور) ، ولكنى عاجز
عن ذلك تمامًا . معذرة يا سى .

ضرب (نور) قبضته اليمنى فى راحته اليسرى ، وهو
يقول :

— لا بد من وجود تفسير لكل ذلك يا سيدى . لا بد
أن أحد تصيرا وإلا أصابى الجنون .

قطب الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وقال :

— ولهم يا ولدى ؟ كل إنسان معرض للفشل ولو مرة
واحده فى عمره . لا بد لنا من أن نقبل ذلك ، وإلا فافسنا
الله (سبحانه وتعالى) ، فهو وحده المعصوم من الخطأ .
قال (نور) فى يأس :

— عصفوا يا سيدى . إنما هى كلمات تطلقت بها
حيرى .

صمت الدكتور (حجازى) لحظة ، تأمل خلالها

ملاح (نور) ، ثم نهض من مقعده ، وأخذ يسير فى أنحاء
الغرفة ، ثم استدار مواجهها (نور) ، وقال :

— لا عليك يا بنى . إن الشعور نفسه يراودنى . إنها
الحيرة وراء الحقيقة ، وبرغم خبثى الطويلة فى مجال الطب
الشرعى ، إلا أنى لأول مرة أواجه لغزا أعجز عن
تفسيره . فلقد فحصت الرجلين بدقة بالغة . . صحيح أن
النقطتين الغامضتين تشعان ببريق يؤكد طبيعتهما المشعة .
إلا أن الحلاهما من أسفلهما سليمة تمامًا . . لم تحترق ، ولم
تُحترق ، ولم يصبها أدنى ضرر .

ثم صمت لحظة ، وعاد يقول :

— صدقنى . إنها المرة الأولى التى أتمنى فيها لو أن رجلا
حيًا وافته المنية ، حتى يمكننى تشريح جثته ، والبحث عما
أريده . .

وفجأة توقف الدكتور (حجازى) عن إتمام عبارته ،
وقطب حاجبيه ، وتعم فى اهتمام :

— رتاه ! ولم لا ؟

قفز (نور) من مقعده وهو في غاية الانفعال ،
وأمسك بذراع الدكتور (حجازي) صائحا :

— ماذا يدور في خاطرك يا سيدى ؟

أزاح الدكتور (حجازي) يد (نور) في لطف ،
وقال :

— لقد بحثتم معا احتمال أن يكون الرحلان قد تعرضا
للتلويح المغناطيسى .. أليس كذلك ؟

ودون أن ينتظر إجابة (نور) ، استطرد منسما :

— لماذا لا نلجأ إذن إلى نفس الوسيلة ؟

سأله (نور) في الفعل :

— هل تفصد أن ... ؟

قاطع قائلا :

— نعم يا (نور) .. سنقوم بتلويحهما مغناطيسيا ،

ولستخرج من عقليهما كل ما نريد ، حتى ما لا يذكرانه وهما
في وعيهما .

نهلت أساور (نور) لحظة ، ثم عاد يقطب حاجيه

قائلا :

— ولكن من يمكنه القيام بذلك ؟

اتسمم الدكتور (حجازي) ، وقال :

— في عصرنا هذا كل شيء يدار بالكمبيوتر ، أمها الفتى

النحيب .

كان الفرعولى هو أول من خاض التجربة ، حيا وحده

نفسه مقبدا فوق مقعد جلدى كبير ، وأمامه شاشة ضخمة

من شاشات الكمبيوتر . فأخذ يزجر في حنى وحقيق ، وإن

لم تغل نظراته من الحيرة والخوف .. وأمسك الدكتور

(شريف) في إعداد أجهزة الترجمة الخاصة ، التى تتيح

لآخرين متابعة الحوار باللغة العربية ، على حين اتسم

الدكتور (حجازي) ، وهو يقول لأفراد الفريق :

— سنجلس جميعا خلف الكمبيوتر أيها السادة ، في

مواجهة ضيفنا الفرعولى تماما ، وإلا سقطنا جميعا ضحايا

التلويح المغناطيسى .

سأله (سلوى) في حيرة :

— هل أنت واثق من النتيجة يا سيدى ؟ .. معدرة ،
ولكنها المرة الأولى التى أعلم فيها صلة الكمبيوتر بالتصميم
المغناطيسى .

ضحك الدكتور (حجازى) ، وهو يقول مداعباً :
— يا للعار !! إن استخدام الكمبيوتر فى التصميم
المغناطيسى يعود إلى عام ألف وتسعمائة وخمسة وثمانين ،
حينما ظهر أول شريط كمبيوتر لدفع المدخنين إلى التوقف عن
ذلك ، وآخر لتقوية الإرادة .

احمر وجه (سلوى) خجلاً ، وتمتمت فى ضجة أقرب
إلى الاعتذار :

— يبدو أن معلوماتى فى هذا المجال قاصرة .
هم الدكتور (حجازى) مداعبها مرة أخرى ، ولكن
الدكتور (شريف حافظ) رفع رأسه عن أجهزته المعقدة ،
وقال :

— أجهزتي مستعدة لبدء الاتصال .

قال (نور) فى اهتمام :

— حسناً .. لن نضيع الوقت .



كان الفرعونى هو أول من حاص التجربة : حينما وجد
نفسه ملقداً فوق مقعد جلدى كبير وأمامه شاشة ضخمة .

أطلقا الدكتور (حجازي) أضواء الغرفة . فعاد
الفرعوني يزجر في مزيج من الخوف والرعدة والغضب . ثم
نذرت من فمه صرخة مكتومة ، عندما أضاءت شاشة
الكمبيوتر الضخمة فجاء بضوء قهقر ، وظهرت في
منتصفها دائرة صغيرة بيضاء ، تدور حول نفسها في ببطء
وهدهوء ، وتعلقت أبصار الفرعوني على الرغم منه بتلك
الدائرة الصغيرة ، التي تكونت حولها دوائر أخرى بتزايد
حجمها باستمرار ، وتدور جميعها في نفس الاتجاه . مع
تزايد ضيق تدريجي في السرعة

وفجأة التحبب الدوائر جميعها مكونة شكلا لوليا
يشبه الدوامة . وارتفعت سرعتها إلى درجة كبيرة ،
وأخذت تتألق وتنطفيء في سرعة مذهلة ، في نفس الوقت
الذي تصاعدت فيه موسيقى ناعمة أرخت أعصاب
الجميع .

تناقلت عينا الفرعوني على الرغم منه ، وشعر بجففيه
يسقطان ليلتحما في سكون وهدهوء . وهنا قال الدكتور
(حجازي) في ثقة :

— يمكنك استجوابه الآن يا دكتور (شريف) ،
وسكون أطوع لك من بنائك .
وأعقب عبارته بأن أوقف الكمبيوتر ، وبدأ الدكتور
(شريف) في تشغيل أجهزة الاتصال وهو يقول :
— لو أن هذا الرجل مخادع ، فسيتقص علينا تاريخ
حياته ، وسيدلي باعتراف كامل دون تردد .
ثم سأل الفرعوني العالم بالهروغليفية القديمة :

— من أنت ؟
تولت أجهزة الترجمة الإليكترونية نقل الحوار إلى أفراد
الفريق باللغة العربية ، فسمعوا الفرعوني يقول في استكانة :
— (خوف — حر) خادم الإله (أمون) ،
وعبد الفرعون الأعظم (رمسيس الثاني) .
تبادل الجميع نظرات الخيرة ، ثم عاد الدكتور
(شريف) يسأله :

— كيف أتيت إلى هنا ؟
أجاب الرجل النائم في حنوع :

— كنت أقوم بنوبة حراسة ليلية حول خيمة الفرعون الأعظم . ثم ...

وفجأة نصيب العرق الغرير على حبة الرجل ، ونمت ملامحه عن الرعب والألم في آن واحد . كان كمن يقاوم الأما رهيبه ، وتلوت ملامحه بشكل مخيف ، أثار الرهبة في قلوب الجمع الخدق فيه . حتى أن (سلوى) قبضت على ذراع زوجها ، وقالت في خوف :

— ماذا أصابه يا (نور) ؟ .. هل يب السحرة المغناطيسى كل هذا الألم ؟

أحبابها المذكور (حجازى) ، وهو يتفرس في علاج الرجل في دهشة

— مطلقا يا (سلوى) .. إننى لا أفهم ما يحدث له . وفجأة صرح الفرعونى في لهجة تجسع بين الدعر والدهشة والألم :

— فليرحنا (آمون) .. الشمس تشرق في ظلام الليل .. إنه سحر .. فليرحنا الآلهة ..

وأخذ جسده ينتفض في قوة وهو يتأوه ، وتخرج من بين شفاهه حشرة مؤلمة . حتى أن الدكتور (حجازى) قفز نحوه . وصفعه في قوة ارتج لها كيان الفرعونى ، ثم لم يلبث أن فتح عينيه . وقد استعاد وعيه ، وأخذ يحدق في الجميع بدعر هائل .

تهدد الدكتور (حجازى) . وقال :
— سضطر إلى الاكتفاء بهذا القدر . من الواضح أن شيئاً ما يكبل ذاكرة ذلك المسكين ، ويمنعه من الإدلاء بما لديه .

قطب (نور) حاجبيه في تركيز ، وظهرت الدهشة والحيرة على وجوه الآخرين ، وقال (محمود) في قلق :

— ماذا يعنى بأن الشمس تشرق في ظلام الليل ؟
ساد الصمت بينهم . وكل منهم يبحث في ذهنه عن تفسير منطقي للعبارة ، إلى أن قال (نور) :
— دعنا من التفسير الآن يا (محمود) . سنحاول ترتيب كل المعلومات ، بعد أن نقوم باستجواب القمارس العربى .

* * *

استغرق الفارس العرب وقتاً أطول ، قبل أن يسقط في
دوامة التوهم المغناطيسي الإليكتروني ، ولكن عينه في
النهاية استسلمت في سكون ، وانطبقت في غنوع ، ويبدو أن
صبر (نور) كان قد نفذ في تلك اللحظة ، فقد أسرع
يسأله في لحظة :

— من أنت أيها الفارس ؟

أجابه الرجل :

— (حسام الدين الإخشيدى) قائد الفيلق
الثالث من قوات مولانا السلطان (صلاح الدين الأيوبي) ،
وحامي قلعته العظيمة .

ابتسم الدكتور (حجازي) ، وقال مداعباً ومخففاً من
حدة التوتر التي سادت الغرفة :

— أخيراً ما هو ذا رجل ذو شأن .

لم يتسم أحدهم لدعائه ، وعاد (نور) يسأل
الرجل :

— ماذا أصابك يا (حسام الدين) ؟ كيف وصلت

إلى هنا ؟

صمت الرجل لحظة ، وتوترت عضلات وجهه ، وكأنه
يقاوم شيئاً ما في داخله ، وقال في بطله وتركيز :

— إنها ليلة من ليالي الشتاء المقمرة ، ولقد وصلنا
الآباء بأن مولانا السلطان قد لقن الصليبيين درساً قاسياً
على مشارف القدس ، وخرجت من القلعة فرخاً
متبشراً : أنهز حولها في ضوء القمر مع (عائشة) .

ازداد تؤثر عضلات وجهه ، وهو يستطرد :

— جرت (عائشة) مبتعدة ، وعدوت وراءها
مداعباً ، ولكن

ظهر الألم والخوف على ملامحه فجأة ، وأخذ يحرك رأسه
في صعوبة ، كما حدث مع الفرعوني .. حتى أن (نور) عاد
يسأله في قسوة :

— ماذا حدث يا (إخشيدى) ؟ ماذا حدث بالله
عليك ؟

قال (الإخشيدى) في كلمات متائرة بطيئة ،
خرجت من بين شفتيه في صعوبة :

— يا لهول ما حدث ! لقد انبلج الصبح فجأة ..
 كان الظلام يحيط بالقاعة ، أما نحن فقد كنا في ضوء النهار ..
 ثم صرخ فجأة في فزع :
 — لا يا (عائشة) .. ابتعدى عن النار ..
 لا يا (عائشة) ..

وأحد يتلوى فجأة من الألم ، ويصرخ في دعر ، وفزع
 ثم صرخ صرخة قوية ، واستكان جسده غامما فوق المقعد ..
 وقد جمحت عيناه ، وتدلّى لسانه خارج فمه بشكل
 مفرع ، دفع (سلوى) إلى الصراخ والتعلّق بذراع
 زوجها ..

فقر (رمزي) والدكتور (حجازي) في آن واحد نحو
 (الإخشيدى) ، وأخذوا يفحصانه في سرعة واهتمام ، ثم
 حل (رمزي) قيوده ، وأحد يدلك صدره في عنف ، (إلا أن
 الدكتور (حجازي) رفع رأسه وقال في أسف :
 — لا فائدة يا (رمزي) .. لا فائدة يا بني .. لقد
 لقي الرجل حتفه من شدة الفزع ..



فقر (رمزي) والدكتور (حجازي) في آن واحد نحو
 (الإخشيدى) ، وأخذوا يفحصانه في سرعة واهتمام ..

٧ - الشاهد الوحيد ..

استكان (نور) فوق مقعد وثير داخل الغرفة المخصصة
للفريق ، وأحاط رأسه بكفيه ، وأغمض عينيه ، وإن غمت
ملائحه على الاستغراق الكامل ، والتفكير العميق ..
واحترم الآخرون صمته ، فالاذ كل منهم بالسكون فترة
طويلة ، وأخيرا قال الدكتور (حجازي) :

— لم أتصور مطلقا أن يؤدي الأمر إلى وفاة الرجل ..
إنها السابقة الأولى في التويم المغناطيسي .

قال (رمزي) :

— من الواضح أن كلا من الرجلين تلقى أمرا عقليا
بعدم الإفصاح عما لديه ، حتى تحت تأثير التويم
المغناطيسي .

هز (محمود) كتفيه ، وقال :

— لقد كنت أظن سابقا ، أن التويم المغناطيسي يمكنه

إجبار الإنسان على الإفصاح بكل ما لديه ما دام قد خضع له .

قال الدكتور (حجازي) :

— هذا ما كنت أظنه حتى صباح اليوم يا (محمود) .. ولكن بعد وفاة الفارس العربي ، اختلت معلوماتي تمامًا .

وهنا فتح (نور) عينيه في بلاء ، وقال :

— لقد قضينا على هذا المسكين يا سيدي . ولكنه قد يكون صاحب الفضل في كشفنا حل هذا اللغز الغامض .

سأله الدكتور (حجازي) في خيرة :

— كيف تقول ذلك يا (نور) ؟

أجاب (نور) بلهجة اشتم فيها الجميع رنين الألم :

— إنني أحاول التغلب على عواطفى ، والتفكير بشكل عملي يا سيدي .. لقد كنت تتمنى تشریح جثة أحد الرجلين ، وهما هي ذى الفرصة سانحة أمامك .

ظل الجميع يحدقون في وجه (نور) لحظة ، ولكنه عاد فأغلق عييه ، وقال :

— هذا إذا أردت ذلك بالطبع .

هز الدكتور (حجازي) رأسه ، وقال :

— حسنا يا (نور) .. سأقوم بتشریح الجثة ، ولندع الله جميعا أن يقودنا ذلك الى بصيص من النور .

* * *

اعتمد الدكتور (محمد فادى) بمرفقيه على مكتبه ، وقال موجها حديثه الى (نور) :

— لقد فحصت كل السجلات التى أمكن العثور عليها أيها الرائد ، عن عصر (صلاح الدين الأيوبي) ، وكنت أن أصاب باليأس ، لولا أنى عثرت على شهادة أدلى بها أحد رجال القلعة عام ألف ومائة وسبع وثمانين .. نفس العام الذى هزم فيه (صلاح الدين) جيوش الصليبيين في (حطين) .

تتم (نور) :

— إنه أيضا نفس العام الذى ذكره (حسام الدين الإخشيدى) في روايته ، وهو تحت تأثير التنويم المغناطيسى .

أوما الدكتور (فادى) برأسه ، وقال :

— تماما . لقد قال الرجل في شهادته إن (حسام الدين الإخشيدى) قائد الفيلق الثالث وحامي القلعة ، قد خرج للنزهة في ضوء القمر ، تصحبه جاربة تدعى (عائشة النورية) ، ولكنهما لم يعودا من نزهتهما ، وأنها في رأيه قد هربا معا ، لأن الجاربة كانت مملوكة للسلطان نفسه .

زوى (نور) ما بين حاجبيه في تركيز ، على حين استورد الدكتور (فادى) قائلا :

— ولقد عثرت على شهادة أخرى لأحد حرم القلعة ، مشير دهشتك أكثر أيها الرائد . . . لقد قال الخارسي إنه في أحد الأيام بعد وصول الأنباء التي تحمل بشرى انتصار السلطان في معركة (حطين) ، وبعد منتصف الليل بقليل ، ابعث فحاة ضوء قوى من الدغل القريب من القلعة ، حول المنطقة بأكملها إلى ما يشبه النهار ، ولم يلبث أن تلاشى دوما أصرار .

ثم اتهم وقال :

— ولقد عزروا الأمر حينذاك إلى سقوط نجم النصر على السلطان الأيوبي ، وأنها بشرى الانتصار .
مهض (نور) من مقعده ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وقال :

— إذن فرواية (حسام الدين) — رحمه الله — كانت صحيحة . . . إنه إذن من عصر (صلاح الدين) .

ثم لوح بإذاعته في حلق ، وقال :

— ولكن كيف وصل إلى هنا بحق السماء ؟

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم قال الدكتور (فادى) :

— هل انتهى الدكتور (محمد حجازى) من شرح جنة (الإخشيدى) ؟

نظر (نور) إلى ساعته ، وقال :

— اعتقد ذلك .

ثم اعتدل في وقفته ، وقال :

— لن يمكنك أن تتصور مدى لطفي على معرفة النتائج

التي توصل إليها يا دكتور (فادي) . إنني أبحث عن طرف واحد للخيط يمكنني الإمساك به . . . طرف واحد حتى لو قصيت حياتي في تبعده .

لم يكده الدكتور (حجازي) يجفف يديه ، بعد أن انتهى من فحص جثة (الإخشيدى) ، حتى رأى (نور) يدخل إليه ، وعلى وجهه علامات اللهفة والترقب ، فأشار إليه بالجلوس ، وجلس أمامه قائلاً :

— يبدو أن هذا الرجل (حسام الدين الإخشيدى) سيكون لغزاً في حياته كما كان في حياته يا (نور) ؟
سأله (نور) في لهفة :

— ماذا وجدت يا دكتور (حجازي) ؟
حك الدكتور (حجازي) ذقنه براحته ، وقال في خبرة واضحة :

— أعجب شيء ، يمكنك تصوّر وجوده يا (نور) .
ثم أردف وهو يعتدل في مقعده :

— بمجرد تسلسي الجثة ، شرعت في الحال في فحص تلك الخلايا التي تألفت بسبب المادة المشعة ، وهنا وجدت مفاجأة مذهلة ، فلقد احترقت تلك المادة المشعة خلايا كلها في خيط واحد ، دون أن تسبب لها أدنى ضرر .

اتسعت عينا (نور) دهشة ، على حين تابع الدكتور (حجازي) ، وقد ازدادت لهجته حيرة :

— وعلى قدر علمي لا توجد مادة مشعة واحدة يمكنها احتراق الخلايا ، دون أن تسبب بعض الاحتراق ، أو الالتهاب على الأقل ، ولكن لا هذا ولا ذاك حدث . . .
الأعجب من ذلك أنني تشبعت الخط ، فوجدته يمر عبر خلايا الجمجمة والمخ ، صانعاً خطأ وهمياً من الخلايا المشعة ، حتى يلتقي بالنقطة الأخرى على الجانب الآخر من الوجه .

تتم (نور) في ذهول
— ولكن ذلك مستحيل يا سيدي . . . لو أن المادة المشعة احترقت خلايا المخ ، لسيبت الكثير من التلف .

قلب الدكتور (حجازى) كفيه ، وقال :

— ليست هذه هي النقطة الوحيدة المدهلة
يا (نور) .. لقد واجهت ما هو أعجب ، عندما بدأت
في فحص باقى الجثمان .. فلقد وجدت لدهشتي أن خلايا
الجسم جميعها أكثر شباباً من العمر الذى تؤكد به العظام ..
ولكى تفهم ذلك لك أن تتخيل رجلاً فى الخمسين ، يحمل
خلايا حيوية فعالة لشاب فى العشرين .. هذا بالضبط
ما وجدته ، فلقد أكد فحص العظام أن (الإخشيدى)
فى أوائل الأربعينات من عمره ، ولكن خلاياه حيوية بشكل
لا يتوافر إلا لشاب فى ريعان الصبا .

أغمض (نور) عينيه ، ومسح وجهه فى حيرة محاولاً
إزالة تأثيره ، ثم قال :

— هل وجدت شيئاً آخر يا سيدى ؟

أوما الدكتور (حجازى) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم يا (نور) .. لقد عثرت على أربع نقاط أخرى
مشعة فى جسد (الإخشيدى) .

لم يستطع (نور) كبح دهشته فى هذه المرة ، فصاح :

— ما معنى ذلك بحق السماء ؟

ثم عماد يسيطر على أعصابه ، ويقول :

— هل سقط ذلك الرجل فى أتون من المواد المشعة

المجهولة ؟

هر الدكتور (حجازى) رأسه نفياً ، وقال :

— لن يمكننى أن أصنع تفسيراً يا (نور) .. لقد

فعلت ما أستطيعه ، وعليك أن تبحث عن الباقى

بعض (نور) واقفاً ، وقال فى حزم :

— لن أسمح لهذا اللغز بهيمتنا يا سيدى .. سأفقد من

آخر ورقة أملك بها .. من الشاهد الوحيد الباقى على قيد

الحياة .. من المزعزعى الأسير .

* * *

٨ — المحاولة الأخيرة ..

— نسمح للفرعوني بالخروج ١١٩ .. هل جئت أيها
الرائد ؟

نطق القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية بهذه
العبارة ، في مزيج من الدهشة والحنق ، إلا أن (نور)
واصل حديثه ، قائلاً في هدوء :

— إنها الوسيلة الوحيدة الممكنة لحل هذا الغموض
يا سيدي . سندس في النطاق الجليدي للفرعوني جهاز
التصال ميكرووسكوبي ، لن يتمكن هو نفسه من كشفه ، ثم
نحمله إلى قرب الأطلال التي عثرنا عليه عندها ، وهناك
نطلق سراحه ، ولنر ماذا يفعل ؟

قال القائد الأعلى في غضب :

— وماذا لو أنه تقابل مصادفة مع مواطن عادي ،
لا يحيد في الدفاع عن النفس وتسيب في قتله ؟



قال (نور) :

— سنغلق الطريق من جانبيه يا سيدي لمدة ساعة
واحدة ، فليست أحتاج لأكثر من ذلك .
أطرق القائد الأعلى ، وأخذ يفكر بعمق ، ثم رفع رأسه
إلى (نور) ، وقال :

— حسنا أيها القائد .. سنفعل ما تطلبه ، ولكنني
أحذرك من أنك ستحمل المسؤولية الكاملة ، لو تسببت
خطئك فيما يلي ،

ظهر الارتياح على وجه (نور) ، ورفع يده بالتحية
العسكرية قائلا :

— سأحمل المسؤولية عن طيب خاطر يا سيدي .

* * *

توقفت سيارة المخابرات العلمية ، على بعد كيلومتر
واحد من الأطلال الفرعونية الأثرية في طريق (القيوم) ،
وهبط منها شرطيان بحسبان جيدا بالفرعولي الأسمر ، الذي
تملكه الفرع . من تلك السرعة الصاروخية التي انطلقت



توقفت سيارة المخابرات العلمية . على بعد كيلومتر
واحد من الأطلال الفرعونية الأثرية في طريق (القيوم) .

بها السيارة طوال الطريق .. ولم يلبث أن تراجع في شك
وحيرة حينما نزع الشرطيان قيوده ، وغادرا المكان في
سيارتهما . ولم تكد السيارة الصاروخية تختفي في الأفق ،
حتى دار بصره في أنحاء المكان في حيرة مبهمة . وسرعان
ما تهللت أساريره ، عندما وقع بصره على المعبود الفرعوني
الذى بدا من بعيد . وكأنه سليم تماما ، ثم بدأ يسير في
اتجاهه في حماسة وسرعة مذهبتين ، وقد شارفت الشمس
على الغروب .

وعلى بعد خمسة كيلومترات ، رافقت (سلموى)
الإشارات التى تبعث من الجهاز الميكروسكوبى الخبايا في
نطاق الفرعوني . ثم سألت (نور) في حيرة .
— إنه يتحرك بالفعل نحو الأطلال الأثرية . ولكن
ما الذى تتوقع أن يفعله ؟

اجابها (نور) ، وهو يتابع الإشارات بدوره .
— لقد وضعت خطتي بعد استشارة (رمزي) ،
بصفته خيراى الطب النفسى يا عزيزتى ، ولو أن (محمود)

قام بواجبه كما ينبغي ، ستحصل من الرجل على كل
ما تريده .

هزت كتفها ، وقالت في حنى :
— لم أفهم ما ترمى إليه .. إنك تتحدث بالألغاز .
قال (نور) ، دون أن يرفع عينيه عن الإشارات :
— سنحاول إعادة تصوير الحادث الذى تعرض له
صديقنا الفرعوني (خوف — حر) . سنضعه في نفس
الظروف مرة أخرى ، لنرى كيف يكون رد فعله .

* * *

همس (محمود) في أذن (رمزي) ، وهو يراقب
الفرعوني الأسمر ، الذى اقترب من الأطلال في خطوات
مرتبكة :

— لماذا يتردد في القدوم إلى هنا يا (رمزي) ؟
همس (رمزي) ، وهو يراقب الفرعوني بدوره :
— لا تسأله حين غادر المكان ، لم يكن أطلاقا كما
هو الآن .. ثم إن المكان يمثل له ذكرى مؤلمة مخيفة .

ثم رثت على كتف زميله . وقال .

— فلنلتزم الصمت حتى لا يتبه إلى وجودنا ، وعليك
بأعداد أجهزتك للعسل .

خطا الفرعونى الأسير إلى الأطلال الأثرية في حيرة
وارتباك ، وهو يطوف بمصره متسائلا عما وصل به إلى هذه
الصورة المرعبة ، واقرب إلى هدوء من حائط متشقق ،
والخنى يفحص النقوش الهيروغليفية التى تراصت فوقه ، ثم
تراجع إلى حدة ، وتعم ببضع عبارات ساخطة لم يفهمها
(محمود) أو (رمزى) ، ثم رفع ذراعيه إلى أعلى وأخذ
يصرخ . وملاحظه تعبر عن الضياع واليأس ، حتى أن
(محمود) تردّد قبل أن يضغط على زر بدء التجربة ، وهو
يقول فى نفسه :

— حسنا .. سأؤدى واجبى وليكن ما يكون .

وفجأة أصاء قرص من البلاستيك الشفاف كبير
الحجم ، مثبت فى سقف المعبد الأثرى ، فغمص المكان
بضوئه الساطع ، وغشى بصر الفرعونى ، الذى صرخ فى

زعر ويأس ، وقفز منكشبا إلى أحد الأركان ، وهو يغطى
وجهه بساعده الأيسر ، ويصرخ ويلوح بيده اليمنى ، وكأنه
يعد عن نفسه الخطر ، ثم قفز واقفا ، ولوح بذراعه نحو
القرص وضم قبضته وكأنه يتحدثاه ، فهمس (رمزى) فى
أذن (محمود) فى انفعال :

— لقد أعاد إليه مشهد القرص المضى وعيه
(محمود) .. لقد تذكر ذلك الرجل ما أصابه منذ
آلاف السنين .. ها قد استيقظت ذاكرته .

ولكن يبدو أن عقل (خوف — حر) لم يكن قد أفاق
ألا تصور (رمزى) ، وإنما العكس هو الصحيح ، فلقد
أخذ المسكين يصرخ فى جنون ويلوح بقبضته ، ثم الحنى
على حجر ضخم فرفعه بعضلاته الفولاذية ، وقد ارتفع
مراخه ..

صاح (رمزى) متخلّيا عن صدره :

— أوقف البرنامج يا (محمود) .. أطلقى القرص قبل
أن يفقد المسكين عقله .

أسرعت بد (محمود) نحو زر الدناج الضوئى ، ولكن
(خوف - حر) كان أكثر ليونة ولياقة .. فقبل أن تصل
سبابة (محمود) إلى الرز ، كان الفرعولى قد قذف بالحجر
الضخم ، مسعينا بعضلاته القوية نحو القرص المضىء ،
الذى تهشم فى قوة ، وتناثرت أجزاءه فى كل مكان .

صرخ الفرعولى فى جزع ، وهى تخفى وجهه براحمه
ليحميه من الزجاج المتناثر ، ثم لم يلبث أن صرخ وزمجر فى
جنون ، وعاد يرفع ذراعيه ويلوح بقبضته فى الهواء . وهو
ينظر بعينين زائغتين إلى القرص العظيم ، فصاح (رمزى)
وهو ينهض من مكانه :

— يا للمسكين ! لقد فقد عقله .. إنه يحتاج إلى
رعاية عاجلة .

ثم قفز وقد نسى دقة موقفه ، محاولا إسعاف الفرعولى
الأسير ، الذى امتلأ جسده بالجروح من أثر الزجاج
العظيم .

صرخ (محمود) فى جزع :

— انظروا (رمزى) .. سوف يقتلك هذا الرجل .
تنبه (رمزى) فى تلك اللحظة فقط ، إلى أنه يواجه
رجلا مجنونا مقبول العضلات ، فتسمرت قدماه فى
مكانهما . واتسعت عيناه ذعرا ، حينما التفت إليه
الفرعولى ، وملامحه تنطق بالجنون والشراسة .

* * *



٩ - الفشل المريع ..

ضاقت عينا (نور) ، وهو يتطلع إلى ضوء القرص
المستدير ، حينما ظهر في الأفق ، وقال في هدوء :
— لقد بدأ (عمود) برئاحه يا (سلوى) .. ترى ،
هل سننجح هذه المرة ؟

هزّت كفيها ، وقالت :
— أتمنى ذلك حتى أعود إلى ابنتي ، إلى اشتياقي إليها
جدا .

بعث ذكر ابنته بدفقة من الحنان إلى صدره ، فابتسم
قالا :

— لست أقل اشتياقا إليها يا زوجتي العزيزة ،
وفجأة زوى (نور) ما بين عينيه ، وتحرك إلى الأمام
بشكل حاد ، وهو يقول :

— رباه !! لقد انقطع الضوء ؟ ماذا حدث يا ترى ؟
وقبل أن تحببه (سلوى) ، سقط في مقعد القيادة ،
وحفظ أزرار الانطلاق في ميارته الصاروخية ، التي



اندفعت في سرعة مذهلة نحو الأطلال الفرعونية ، و (نور)
يقودها في مهارة وحكمة .

صاحت (سلوى) في جذع لم تدرك كنهه :

— ترى .. هل أصيب (محمود) أو (رمزي) بسوء ؟
قال (نور) وهو ينحرف بالسيارة وسط زحام
الطريق ، مشيراً عاصفة من الغبار .

— إما أن ذلك قد حدث بالفعل ، أو أنه في طريق
الحدوث لو لم يسرع إلى هناك يا (سلوى) .

كانت سيارة (نور) تنطلق بالحد الأقصى ، لسرعتها
البالغة خمسمائة كيلومتر في الساعة الواحدة ، برغم وعورة
المنطقة الصحراوية التي تسير فوقها ، وهو يقودها بأسلوب
انتحاري ، وقد تملكته فكرة واحدة ، وهي اللحاق
بزميله ، قبل أن يصاب أحدهما بسوء ..

وأخيراً وقع بصره على أطلال المعبد ، وعلى (خوف —
حر) الذي يصرخ في وحشية ، مستعداً للقفز على
(رمزي) وقتله ، وصاحت (سلوى) :

— رباه ! اسرع يا (نور) .. إن هذا الرجل سيقتل
(رمزي) .

زارت سيارة (نور) الصاروخية ، وهي تقترب بسرعتها
المدهشة من أطلال المعبد الأثري . وسقطت أضواءها على
الفرعوني و (رمزي) ، وبعثت الأضواء الساطعة في نفس
كل منهما بشعور مختلف تماماً ، فقد شعر (رمزي)
بالارتياح على سראى سيارة (نور) .. أما (خوف — حر) ،
فقد أعادت إليه الأضواء الساطعة ذكرى الحادث الخيف
الذي تعرض له في عصره ، والذي تبب في وصوله إلى
القرن الحادي والعشرين ، عبر آلاف السنين .. ولكن
يبدو أن انتصاره منذ لحظات على القرص المضيء ، أصابه
بالفرور ، أو بعث في نفسه دفعة قوية من الثقة بالنفس ،
فلقد تنحى عن مهاجمة (رمزي) ، وانحنى يلتقط حجراً
آخر من أحجار المعبد ، ثم الدفع نحو السيارة ، وهو يطلق
صرخات الحرب والهجوم المليئة بالجنون والشراسة .

صرخت (سلوى) :

— احتسب يا (نور) .. إنه يهاجم السيارة ..
منعطدم به ..

حاول (نور) الانحراف بالسيارة مبتعدا عن (خوف —
حس) ، ولكن هذا الأخير في صرخة من صرخات
الجنون ، قذف نفسه أمام السيارة الصاروخية القوية ، ولم
تليث صرخته أن تحولت إلى الذعر والألم ..

وحاول (نور) إيقاف السيارة ، ولكن سرعتها الكبيرة
وحالة الذعر والذهشة التي التأت الجميع بالإضافة إلى
اندفاع (خوف — حس) ..

كل هذه العوامل تدخلت وتداخلت ، فتمنع (نور) من
تفادي الاصطدام ، وانبعث صرخة الفرعوى المسكين
عالية ، وتبحر جنونه في اللحظة الأخيرة ، وحدث التصادم
المروع ، وتمزقت أوصال المسكين ، وهو يندفع إلى أعلى
ويسقط على وجهه وقد فارقته الحياة .



كل هذه العوامل تدخلت وتداخلت ، فتمنع (نور) من تفادي
الاصطدام ، وانبعث صرخة الفرعوى المسكين عالية

عض القائد الأعلى على شفتيه ، وقال في غضب :
— لقد قضيت على آخر خيط ، كان من الممكن أن
يقودنا إلى الحل الصحيح أيها الرائد .. لقد كانت خطتك
فاشلة .

شعر (نور) بغصة في حلقه ، وهو يقول :
— لقد استشرت الطبيب النفسي للفريق أولاً
يا سيدى ، ولقد وافق على الخطوة ، ولكن يبدو أن ...
قاطعته القائد الأعلى قائلاً :

— يبدو أن ... وهل اعتمد عمل المختبرات العلمية يوماً ما ،
على مثل هذه الكلمة ؟

قال (نور) في أسف :
— لست أدري كيف حدث ذلك يا سيدى ، ولكننى
أتحمل المسؤولية الكاملة .
صاح القائد الأعلى :

— ستتحمل المسؤولية بالطبع أيها القائد ، وسندلى
بكل ما لديك إلى مكتب التحقيقات في الإدارة ، فلن يجر
هذا الأمر بساطة .

أدى (نور) التحية العسكرية ، واستدار مغادراً
الغرفة ، ومتوجّهاً في أسى إلى غرفة التحقيقات ، التابعة
لإدارة المختبرات العلمية المصرية .

أسرعت (نشوى) الصغيرة ابنة (نور) و (سلوى)
بخطوات متعذرة ، تتناسب مع عمرها الذى يبلغ عامًا واحدًا
نحو (رمزى) ، وهى تبسم في مرح طفولى . فحملها هو
بين ذراعيه وقبلها ، على حين داعب (محمود) رأسها ، ثم
التفت إلى (سلوى) وسألها :

— أين (نور) ؟ لقد واصلنى أنه عوقب بالحرم من
ترقيته القادمة .. كيف حاله يا ترى ؟

مطت (سلوى) شفتيها ، وقالت في حيرة :
— لا يبدو مهملاً بالأمر ظاهرياً ، ولكننى أعلم طبيعته
جيداً ، فهو لا يحتمل القسئل .

ابتسم (رمزى) وقال :
— إنه كذلك بالفعل يا (سلوى) ، ولذا فهو لا يهم

فعلا بحرمانه من الترقية ، قدر اهتمامه بأول لغز غامض يعجز
عن إيجاد تفسير له .

أحت رأسها مرافقة ، وقالت :

— إنه يجلس في غرفة مكتبه منذ الصباح الباكر ،
وأخشى أن تزيد وحدته من الآفة .

ضحك (رمزي) ، وهو يتطلع إلى باب المنزل قائلاً :

— لا عليك .. لقد تخلى عن وحدته بإرادته .

التفت (سلوى) إلى حيث ينظر (رمزي) ، وعلمت
أساورها عندما رأت (نور) يتقدم نحوهم باستمارة
الحديقة ، وسمعت يقول :

— مرحباً يا رفاق .. هل أتيم وحدكم ؟

سأله (محمود) في دهشة :

— من كنت تنتظر قدومه معنا يا ثرى ؟

ابتسم (نور) ، وقال وهو يتطلع بترقب واضح إلى
الطريق المار بالمنزل :

— لا عليك يا عزيزي (محمود) ..

ثم لَوَّح بدراعه في مرج مصطنع قائلاً :

— اجلسوا يا رفاق ، وساعد لكم شرباً منعشاً .

وأسرع الخطا إلى المنزل ، ولم يلبث أن اختفى داخله ،

فهز (رمزي) رأسه قائلاً :

— مسكين (نور) .. إنه يحاول التظاهر بعكس

ما يشعر به .

ولم نفس اللحظة توقفت أمام المنزل سيارة الدكتور

(حجازي) ، وقفز هو منها في نشاط واضح ، وهو يلوح

بيده لأفراد الفريق ، ثم غبر الحديقة ، وصافحهم بحرارة ،

ثم سأهم :

— أين (نور) أيها الشبان ؟

هز (رمزي) رأسه في أسى ، وقال :

— إنه في المنزل ، فقد أصابه اليأس ، ويميل إلى الابتعاد

عنا في الوقت الحالي .

قال الدكتور (حجازي) :

— اليأس ١٢ .. لست أوافقك على ذلك يا (رمزي) .

تهنئ (رمزي) ، وقال :

— معذرة يا دكتور (حجازي) ، ولكنني لا أتحدث
بأسلوب عاطفي ، وإنما أبني أرائي على نقاط علمية ثابتة ،
ولا تنس أنني طبيب نفسي متخصص ، وليس من السهل
أن أفشل في تحليل الحالة النفسية ، لرجل عسكت كثيراً في
وفقته .

ضحك الدكتور (حجازي) ، وقال :

— ولكن يبدو أنك قد فشلت هذه المرة يا بني ، فيما
يختص بحالة اليأس التي أصابت (نور) .

شعر (رمزي) بالضييق ، وحذق (محمود) في وجه
الدكتور (حجازي) في حيرة ، على حين سأله (سلوي)
في فضول ولهفة :

— ماذا تعني يا دكتور (حجازي) ؟

ابتسم الدكتور (حجازي) ، وقال :

— لقد طلب مني (نور) أن أبلغه بنتائج فحص جثة
الفرعوني .. هل رأيتم رجلاً يائساً يفكر بهذه الطريقة ؟

١٠ — بريق عينييه ..

صافح (نور) الدكتور (حجازي) في حرارة ،
وجلس فوق المقعد المواجه له ، وسأله في اهتمام واضح :

— هل وجدت شيئاً جديداً في أثناء فحصك لجثة

(خوف — حر) ، يا دكتور (حجازي) ؟

هز الدكتور حجازي رأسه نفياً ، وقال :

— كنت أتمنى ذلك يا بني ، ولكنني لم أجد أي
جديد ، ولكن المدهش في الأمر هو أنني وجدت نفس
النقاط العجيبة في جثتان الفرعوني أيضاً .. نفس النقاط
المشعة على جانبي الوجه ، والخط الوهمي المشع الذي يمتد
كل الخلايا بين النقطتين ، وحتى تلك الخلايا الحيوية التي
تناسب مع عسر عظام الجسم .. أمر مذهل .. لا ريب أن
كلًا من الرجلين تعرض للظروف ذاتها
قطب (نور) حاجبيه مفكراً ، وقال في تركيز :

— نعم يا سيدي .. نفس الظروف ، ولكن في زمنين

تفصل بينهما آلاف السنين .

قال الدكتور (حجازي) :

— عجباً لهذا !! في الماضي كان الاختفاء هو الذي يثير

الدهشة ، في مناطق مثل مثلث (برمودا) ، والآن تأتي

لحظة الظهور المفاجئ .. يا لها من حياة !!

ثم (نور) في سرود :

— نعم يا سيدي .. اختفاء في الماضي ، ظهور غامض

في الحاضر .. إنها أطراف الماضي يا سيدي .

قال (رمزي) محاولاً الاشتراك في الحديث :

— هذا يشبه تمامًا ما يحدث في العقل الباطن أيها

القائد ، فكثيراً ما تختفي في عقلنا بعض الأمور التي نمر بها

سروراً عابراً ، ثم تأتي لحظة ما أو موقف ما يثير الذكريات

اخترتة ، وتطفو هذه الأمور فجأة .. نفس ما حدث

للرجلين (رجهما الله)

ابسم الدكتور (حجازي) ، وقال :

— مع الفارق النسبي بالطبع .

ثم (نور) وهو يراقب (سلوى) ، التي أخذت

توزع عليهم أكواب الشراب المنعش :

— نعم يا سيدي ، مع الفارق النسبي

ثم مد يده يتناول كوب الشراب من يد (سلوى) ،

عندما تسمرت كفه فجأة ، وتألفت عيناه بهيئته مذهشة ،

وهو يتمتم في فرح واضح :

— رناه !! كل شيء نسي بالفعل .

قفز أفراد الفريق من مقاعدهم ، عندما لحوا ذلك

البريق المألوف يطل من عيني (نور) ، وصاحت

(سلوى) في سعادة جمّة :

— (نور) .. هل عرفت الحل ؟ .. هل توصلت إلى

الحل ؟

قفز (نور) من مقعده ، وتناول البطاقة المغناطيسية

الخاصة بقيادة سيارته الصاروخية ، وصاح وهو يدفع

نحوها :

— نعم يا عزيزي ، ولكنني أحتاج إلى تأكيد بسيط ،
أسرعت تتبعه وهي تصفق بكفها في جذل كالأطفال ،
وتقول :

— كنت أعرف ذلك .. كنت أعرف ذلك منذ تحت
بريق عينيك .

توقفت سيارة (نور) أمام الأطلال الفرعونية القديمة ،
وتوقفت خلفها سيارة الدكتور (حجازي) تضم باقي أفراد
الفريق ، وقفز الجميع من السيارتين خلف (نور) ، الذي
توقف وأخذ يدور بصره في المكان في نظرة فاحصة خيرة ،
ثم يلبث أن أشار إلى بقعة بعيدة ، وقال :

— هناك يا رفاق .. هذه البقعة التي تبدو داكنة أكثر
من حوله .. فيها فقط يكمن حل اللغز .

اقرب الجميع من البقعة التي أشار إليها (نور) ،
والحنى الدكتور (حجازي) يفحصها في عناية ، ثم قال في
دهشة :



اقرب الجميع من البقعة التي أشار إليها (نور) ،
والحنى الدكتور (حجازي) يفحصها في عناية ..

— يا إلهي ١٢ إن الحشائش تبدو محترقة في هذا المكان
ثم ابتعد قليلاً ، وقال :

— إنها محترقة فيما يشبه الدائرة !

صاح (محمود) في حيرة .

— كيف أمكنت استنتاج وجود مثل هذه البقعة
الدائرية المحترقة أيها القائد ؟

ابتسم (نور) وقال :

— كان لابد من وجودها ، حتى تكتمل أركان الحل
يا عزيزي (محمود) .

ثم عقد ساعديه أمام صدره ، وقال :

— الآن فقط يمكنني أن أخبركم ، كيف وصل هذان
الرجلان إلى عصرنا الحالي .

١١ — أضواء الحقيقة ..

أخذ (نور) يسير بلا خوف في أنحاء المنطقة الأثرية ،
وهو يقول :

— دعونا نراجع كل ما لدينا أولاً .. لقد عثرنا على
رجلين أتيا من عصرين مختلفين ، وكل منهما يبعد عن عصرنا
بعدد هائل من الأجيال .. وكل من الرجلين رأى شيئاً مضيئاً
قبل أن يختفي من عصره مباشرة ، ولا يمكنه ذكر هذا
الشيء ، بسبب كبح غامض يسيطر على عقله ، بالإضافة
إلى خط وهمي مشغ يحلّ محل كل منهما دون أن يؤديها ..
وأخيراً نجد أن كلا منهما ينتبه فجأة وبصورة غير منطقية إلى
أحد الأشياء الحديثة في عصرنا الحالي .. ما التفسير الذي
يربط كل هذه النقاط بحيث منطقي واحد ؟ ..

هز الجميع رءوسهم في تساؤل وحيرة ، فتابع (نور)
وهو يتسم :

— حسنا .. سنحاول تقريب الأمور .. هل تذكرون
نظرية العالم (ألبرت أينشتاين) عن نسبية الزمن ؟

تهلل (محمود) فجأة ، وصاح :

— لقد فهمت أيها القائد .. (إن نظرية (أينشتاين)
تقول : إن السفر في الفضاء بسرعة تقارب سرعة الضوء يمنح
الإنسان عمرا أطول بالآلاف المرات من عمره ، لو أنه بقي
على الأرض .. باختصار ، لو أن توبامين افترقا على الأرض
وعمرهما عشر سنوات ، وبقي أحدهما هنا ، على حين انطلق
الآخر في رحلة إلى الفضاء بسرعة الضوء تقريبا ، فسيعود
ذلك الذي سافر إلى الفضاء بعد عامين فضائيين ، ليجد
أنه قد كبرت سنة عامين فقط ، أي أنه أصبح في الثانية
عشرة ، على حين يكون أخوه الذي بقي بالأرض قد أصبح
كهلا في السبعين أو الثمانين ..

أشار إليه (نور) مبتسما ، وقال :

— هذا بالضبط ما حدث للرجلين يا عزيزي

(محمود)

علت ، نوبة واحدة باقى أفراد الفريق ، وقال الدكتور
(حجازي) :

— ماذا تقول يا (نور) ؟ كيف سافر الرجلان في
رحلة إلى الفضاء بسرعة الضوء ، برغم أن أحدهما من العصر
الفرعوني ، والآخر من أيام (صلاح الدين) .
اتسم (نور) ، وقال :

— إنهما لم يسافرا ، بل اختطفا يا سيدي .
انسعت عينا الدكتور (حجازي) دهشة ، وقال :

— رباه ! هل تعني الأطباق الطائرة ؟

عاد (نور) يعتقد ساعديه ، ويقول في هدوء :

— هذا ما أقصده تماما يا سيدي .

وقبل أن يتغلب أحدهم على دهشته ، تابع (نور) :

— لقد كان (خوف — حر) يقوم بجولته أو ورديته
الليلية ، حينما أشرقت الشمس في ظلام الليل على حد قوله
(رحمه الله) .. أو بمعنى أصح انبعث ضوء قوى من فوقه في
الظلام ، ثم اختفى (خوف — حر) ، وظهر مرة أخرى في

القرن الحادى والعشرين ، وبين اختفاء
القصة التى عرّج بها ، كيلا يروح بها مطلقا .
واردرد لعابه ، ثم أردف :

— لقد اخطف (خوف — حر) .. اخطفته كائنات
من كوكب آخر ، حضرت الى كوكبنا على متن طبق طائر ،
ظهر له كقرص الشمس المضيء فى الظلام ، أخذته
لتفحصه فى كوكبها كحيوان تجارب ، ولقد تم فحصه
بوسيلة ما زالت مجهولة لنا ، ولكنها تترك نقاطا مشعة على
جسده .. نقاطا من مواد مشعة لا تؤذى الحاريا ..
باختصار لم يعرف لها مثل على كوكب الأرض بأسره .. وفى
أثناء فحص (خوف — حر) عاد الطبق الطائر الى
الأرض ، بسرعه التى تقرب من سرعة الضوء ، وحصل على
فريسة أخرى صالحة للاختيار ، وأقصد بها (حسام الدين
الإنشيدى) .. وتم فحصه أيضا فى كوكب هذه الكائنات ،
والذى لابد أنه يعد عنا بالآلاف السنين الضوئية ، وإلا فما
استغرقت الرحلة كل هذا الوقت .

ثم الدكتور (حجازى) فى ربة :
— إنك تضع تفسيراً مذهلاً ببساطة متناهية
يا (نور) .

سأله (نور) :

— ولم تعتبره مذهلاً يا سيدي ؟

قال الدكتور (حجازى) :

— لأنك تتحدث عن أمور عجيبة ، لم يمكننا رؤيتها
أو التأكد منها .

ابسم (نور) وقال :

— أنت تفعل الشيء نفسه دون أن تدري يا سيدي ..
فحينما تقول بعد فحصك لجثة ما ، إن سبب الوفاة هو
رصاصة انطلقت من الجانب الأيمن على بعد ستة أمتار
مثلاً ، لا تكون قد رأيت الحادث نفسه ، ولكنك تصوّرت
بناء على ما يبدو أمامك من أدلة .

صمت الدكتور (حجازى) لحظة ، ثم قال :

— هذا صحيح .

— لقد استتجت أن الرجلين سافرا بسرعة الضوء .
 بسبب الحيوية الزائدة في خلاياهم ، بما لا يتناسب مع
 سنوات عمرهما ، وتصورت أنه قد أجريت عليهما تجارب
 واختبارات عدة في كوكب آخر ، بسبب تلك النقاط
 المشعة التي نثرت على جسميهما ، بصورة غير معروفة في
 كوكب الأرض ، ثم تصورت قيام رجلين ، بسبب الفارق
 الزمني بين عصر (خوف — حر) وعصر (حسام الدين
 الإنشيدى) ، ثم تأكدت من أنهما قد عولجا بواسطة تفوق
 علومنا الأرضية ، لكيلا يغشاها حدث قهريا أو بتدكره ،
 لأنهما لم يخضعا للتزويم المغناطيسى الذى يجبر كل كائن أرضى
 على الإقضاء بما لديه .. وهكذا أبنى تصوورى — الذى
 تسميه بالمدهل — على نقاط منطقية تماما .

ابتسم الدكتور (حجازى) في إعجاب واضح
 بتلميذه ، وقال :

— حسنا يا بنى .. استمر في سرد استنتاجك

— لم يعد هناك الكثير يا سيدي . فبعد أن انتهت
 الكائنات الفضائية من فحص وإجراء الاختبارات اللازمة
 على كل من الرجلين ، أعادتهما إلى نفس النقاط التى تم
 اختطافهما منها ، مع فارق زمنى نسبى كما قلت .. ونحن
 نتاول المشروبات في حديقة منزلى ، كانت هذه العبارة هى
 مفتاح حل اللغز بالنسبة لى .

ثم أشار إلى البقعة الدائرية المحترقة ، وقال :

— كان ينقصى فقط أن أجد الدليل على هبوط
 الكائنات الفضائية على الأرض ، في رحلة عودتهم لإعادة
 أسيرهم . وها هو ذا أمامكم .

وعاد يعقد ساعديه أمام صدره قائلا :

— وسيزكد علماء معمل الأبحاث التابع للإدارة ، أن
 هذه البقعة قد احترقت بفعل مواد مشعة غير معروفة على
 كوكب الأرض ، في نفس اليوم الذى عثرنا فيه على المكين
 (خوف — حر) ، ولا شك عندى فى أننا سنعثر على مثل
 لها حول قلعة (صلاح الدين الأيوبي) .

قال (رمزي) متسائلا :

— ولكن كيف تعرف الرجال المواد الحديثة في عصرنا هذا ، برغم قدومهما من عصور ماضية ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

— أنت نفسك أجبت عن هذه النقطة ، عندما تحدثنا في حديقة منزلي يا (رمزي) . لقد قلت إنه ثمة أمور تنمو في العقل الباطن . ثم تظهر فجأة إذا ما حان موعدها . . . ولا شك أن كلاً من الرجلين رأى هؤلاء الكائنات الفضائية . واختزن في عقله الباطن خوفه من أسلحتهم الحديثة . ثم تذكر ذلك الخوف حينما رأى أجهزته الحديثة أيضا .

ساد الصمت طويلا بعد أن ألقى (نور) تفسيره ، وكان كل منهم يقلب الأمر في ذهنه ، ويحاول إيجاد احتمالات أخرى ، حتى قال (رمزي) أخيرا :

— أنت عقلية نادرة يا (نور) . لقد توصلت وحدك إلى حل هذا اللغز ، برغم غموضه وغرابته المذهلة . . . لقد حللت براءة .

أطرق (نور) ، وقال في أسف :

— ولكن ليس في الوقت المناسب يا (رمزي) ، وإلا لما لقي هذان المسكيان حتفهما بسببي ، بعيدا عن عصرهما بآلاف الأعوام .

* * *



أحدث أصابع القائد الأعلى تداعب بعض أروار مكتبته لفترة طويلة ، ثم رفع رأسه وتأمل الرائد (نور) بوهة ، ثم قال :

— حسنا أيها الرائد .. إنك لم تفشل أبداً هذه المرة ..

حرك (نور) رأسه في تردد ، ثم قال :

— يمكننا اعتبار نصف فشل ونصف نجاح يا سيدي ..

مط القائد الأعلى شفاهه ، وقال :

— لقد أثبتت بحوث علمائنا نظريتك أيها الرائد ..

وتأكدوا من أن أجساماً فضائية مجهولة هبطت بجوار القلعة

والأطلال الأثرية ، وهذا يعتبر نجاحاً كاملاً ..

أطرق (نور) لحظة ، وقال في لهجة أسفة :

— كان يمكن أن يكون كذلك ، لو لم يلق الرجلان

حقيقتهما يا سيدي ..

تهنأ القائد الأعلى ، وقال :

— لقد كان مصرع كل منهما لبس خارج عن إرادة الجميع يا (نور) .. لقد قاوم كل منهما ذكرى الاختطاف ، فلقى أحدهما حظه من شدة الرعب ، وقضى الآخر لحده بعد لولة من الجنون المفاجئ .. لا ، أيها الرائد .. إنني أعتبر ذلك نجاحاً كاملاً ..

اجتمع أفراد الفريق مرة أخرى في حديقة منزل

(نور) ، ودار حديثهما عن ذلك الحادث الذي حيروهم

لفترة طويلة ، فقال (رمزي) :

— لقد اعتدت طوال حياتي يا رفاق ، أن أنظر إلى

الجانب المشرق من الأمور ، حتى أنني في هذه القصيدة أجد

أن وفاة الرجلين نوع من الرحمة ، فكيف كانت حياتهما لو

أنهما بقيا في عصر يفوقهما بالآلاف السنين ؟ الحيرة والقلق

والخوف وعدم التكيف بالطبع ..

وافقه الجميع على قوله ، وقال (محمود) :

— هل تعلمون ما الذي أثارته هذه المغامرة في نفسي ؟ ..

لقد بدأت أسماء : هل كل حوادث الاختفاء الغامض
ياترى ترجع إلى اختطاف فضائي ؟ .. هل سيأتي يوم يعود فيه
كل من اختطف أو اختفى في مثلث (برمودا) مثالا ؟
هز (نور) كنفيد ، وقال :

— من يدري ؟ .. ربما بعد آلاف السنين .

قالت (سلوى) في غضب :

— تبا لكائنات الفضاء هذه .. إنهم لا يضعون اعتبارا

لأى شيء .. إننى اعتبرهم المسئولين عن مصرع الرحلين .

قال (نور) في هدوء :

— من يدري يا (سلوى) ؟ ربما لو أننا كنا السباقيين في

الوصول إلى كوكبهم لفعلنا الشيء نفسه .

ثم رفع رأسه إلى السماء ، واسترخى في مقعده قائلا :

— إن العلم كالحرب يا عزيزتى .. لا مجال فيه للرحمة ..

أو التراجع .

(تحت بحمد الله)



المؤلف

• ليل فادوك

● أطلس الماضي ●

● هل من الممكن أن يعود الإنسان من الماضي إلى

عصر متقدم حديث ؟

● كيف تعود هذه الأطلس من آلاف السنين إلى

القرن الحادي والعشرين ؟

● لرى .. هل يجمع (نور) أن كشف لغز هذه

الأطلس ؟ .. أطلس الماضي

● همراة التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) في

حل اللغز



العمل في عصر

٥١

وما بعد ذلك

دولاً أمريكياً

في عصر الدول

العربية والعراق

العدد القادم (ليلة الرعب)

الجمعية العربية المتحدة
الطبعة الأولى ١٩٧٧
الطبعة الثانية ١٩٧٨